أنطون تشيخوف
رائد فن القصة القصيرة المعاصرة

شيرين ماهر
باحثة بالهيئة العامة للاستعلامات

الملخص:

يعد الأدب الروسي من أثرى الآداب العالمية، كما يزخر بالعديد من الأعمال المتأثرة بالأحداث التاريخية التي تعرّضت لها روسيا، وعندما نتحدث عن الاتجاهات الحديثة في الأدب الروسي المعاصر، يُقصَد بذلك الظواهر والنزعات الفكرية والفنية المختلفة التي ظهرت بعد فك الارتباط الوثيق بين الأدب وتوجهات النظام السياسي الحاكم. وهو ما يمكن تسميته بـ "أدب مرحلة التحول".

و يعد الأديب الروسي أنطون تشيخوف "سيد القصة القصيرة" بلا منازع، الذي لمع نجمه كأحد أهم أدباء القرن التاسع عشر، ويعد من بين أعظم كتاب القصة القصيرة في التاريخ،و كان لمسرحياته أعظم الأثر في دراما القرن العشرين، فيما تُحظى قصصه القصيرة بتقدير كبير من قبل الكتاب والنقاد، و يُشار أيضاً إلى "تشيخوف" كأحد رواد الحداثة في المسرح العالمي، فيما يعتبر ثاني أكثر الكتاب الروس شعبية بعد تولستوي، لم يكن "تشيخوف" كاتبًا عظيماً فقط، بل امتلك روحاً عظيمة، فكتابته التي تبدو بسيطة جدًا، تتسم بالعمق الشديد، وأغلب قصصه كانت تنشد "التنوير"، وتعمل وفق آلية واحدة وهي كيف يمكن للقصة أن تساعد في جعل الأشخاص يواجهون آلامهم بطريقة بناءة، وهذه العقيدة الراسخة في جميع أعمال "تشيخوف" هي التي جعلت كتاباته مستمرة إلى الأبد.

Abstract:

Russian literature is one of the richest world literatures, and it is also rich in many works affected by the historical events that Russia has been

exposed to. When we talk about modern trends in contemporary Russian literature, we mean the various intellectual and artistic phenomena and tendencies that emerged after the close connection between literature and the trends of the political system. This is what can be called "the literature of the transitional period." ,The Russian writer Anton Chekhov is the undisputed "master of the short story", who rose to prominence as one of the most important writers of the nineteenth century. It is considered among the greatest short story writers in history. His plays had the greatest influence on the drama of the twentieth century, while his short stories are highly regarded by writers and critics. Chekhov is also noted as one of the pioneers of modernity on the world stage, and is considered the second most popular Russian writer after Tolstoy.

Chekhov was not only a great writer, but he possessed a great spirit, His writing which seems very simple, is characterized by great depth. , Most of his stories seek "enlightenment" and work according to one mechanism, which is how a story can help people confront their pain in a constructive way. It is this belief that is firmly rooted in all of Chekhov's works that has made his writings continues forever.

مقدمة :

يعد الأدب الروسي من أعظم الآداب العالمية، كما يزخر بالعديد من الأعمال الأدبية المتأثرة بالأحداث التاريخية التي تعرّضت لها روسيا، سواء كانت هذه الأحداث التاريخية أحداثًا دينيةً كانتشار الديانة المسيحية، أم سياسيةً كالغزو التتاري لروسيا.. وعندما نتحدث عن الاتجاهات الحديثة في الأدب الروسي المعاصر، يُقصَد الظواهر والنزعات الفكرية والفنية المختلفة التي ظهرت خلال تلك المدة بعد فك الارتباط الوثيق بين الأدب وتوجهات النظام السياسي الحاكم. وهو ما يمكن تسميته بـ"أدب مرحلة التحول".. ومع بدايات تبلور الثقافة المصرية القومية في ظل ثورة ١٩١٩، يقول الأديب الكبير يحيى حقي: "إن القصة القصيرة ولدت بين جناحي موباسان الفرنسي

وأنطون تشيخوف الروسي، حتى إن أدباء تلك السنوات كانوا يجلسون في المقاهي فريقين: أنصار تشيخوف، وأنصار موباسان. كما تأثر يوسف إدريس بـ "تشيخوف"، واستمر ذلك التفاعل إلى يومنا هذا دون انقطاع".

يعتبر الأديب الروسي أنطون تشيخوف المُلقَب بـ "سيد القصة القصيرة" بلا منازع، الذي لمع نجمه كواحد من أهم أدباء القرن التاسع عشر، ويعد من بين أعظم كتاب القصة القصيرة في التاريخ. كان لمسرحياته أعظم الأثر في دراما القرن العشرين، فيما تُحظى أفضل قصصه القصيرة بتقدير كبير من قبل الكتاب والنقاد جنباً إلى جنب مع هنريك إبسن وأغسطس ستريندبرغ، كما يشار إلى "تشيخوف" كأحد رواد الحداثة في المسرح العالمي، فيما يعتبر ثاني أكثر الكتاب الروس شعبية بعد تولستوي، لم يكن "تشيخوف" كاتبًا عظيماً فقط، بل امتلك روحاً عظيمة أيضاً، فكتابته التي تبدو بسيطة جدًا، تتسم بالعمق الشديد، فقد كان شيخًا قبل الأوان، عارفًا بالأغوار الإنسانية، وقد اكتشف قوانين كُبرى في الوجود الإنساني مثله في ذلك مثل كبار الكُتاب.

نظرة على الأدب الروسي

الأدب الروسي يزخر بالعديد من الروائع التي تعد من أعظم الأعمال الأدبية العالمية، خاصة في مجالي الرواية والشعر. ظهرت أعظم الأعمال الشعرية والنثرية والمسرحية الروسية في القرن التاسع عشر الميلادي. كانت بدايات الأدب الروسي عام ٩٨٨م، وكان معظمه في تلك الفترة دينيًا على شكل مواعظ وأناشيد وسير للقديسين. وقد كتب رجال الدين الجزء الأكبر من هذا الأدب، وكانوا أيضا قرّاءه.

لقد كان الأدب الروسي أقل ثراء في ظل حكم التتار، ولكن فيما بعد، ظهر ما يعرف بالأدب الموسكوفي الذي ركزّ على الموضوعات السياسية، وأبدى

اهتماما كبيراً بالأسلوب. عندما اعتنق الروس الديانة المسيحية القادمة إليهم من بيزنطة، بدأ رجال الدين الروس والمبشرين القادمين من الامبراطورية البيزنطية بترجمة الكتاب المقدس من اللغة اليونانية إلى اللغات السلافية الروسية ورافق ذلك ترجمة أعمال الآباء القديسيين وبعض كتب الفلسفة والكتب الإغريقية وغيرها، ومن ثم بدأ الروس بترجمة الكثير من الكتب من اللغات وخاصة الشرقية بعد قيامهم بالحج إلى الأماكن المقدسة في المشرق واختلاطهم بثقافة المنطقة وخاصة الإغريقية منها. وكان طابع الثقافة والأدب الروسيين يحمل طابع ديني وكثير من أدباء وكتّاب ذلك العهد هم من رجال الدين والمطّلعين على الثقافة الإغريقية.

شهد القرن السابع عشر تحولاً جذرياً في الأدب الروسي، نتيجة ترجمة عدد كبير من الأعمال الأدبية الغربية وتقليدها. وظهر الشعر المقفى لأول مرة في روسيا. وكان أكبر كتّاب هذا الأدب الجديد "أفاكوم"، أحد رجال الدين المحافظين، الذي تميزت كتابته باللغة المعبرة والوصف الحي للحياة اليومية. كما أدخل الراهب "سميون بولتسكي" في الشعر نظاماً صادقًا، يعتمد على المقطع في الأدب الروسي،و اكتسب الأدب الروسي صبغة غربية كاملة خلال القرن الثامن عشر، ويطلق على "ميخائيل لومونوسوف" لقب مؤسس الأدب الروسي الحديث ورائد المدرسة الكلاسيكية فهو الذي أوجد الشعر الروسي الحديث الذي يعتمد على نسق منتظم من المقاطع المجزأة وغير المجزأة.

وازدهرت المدرسة الكلاسيكية في روسيا في الأربعينيات من القرن الثامن عشر، تحت تأثير النماذج الغربية، وكان أصدق المعبرين عن مبادئها "الكساندر ساماروكوف" الذي كتب قصصاً ومسرحيات وأعمالاً هجائية وأغاني. وكان أبرز شعراء القرن السابع عشر "غافربيل درجافين" الذي يمثل شعره نقطة التحول من الكلاسيكية إلى الرومانسية، فيما بدأت بذور الحركة

الرومانسية تظهر في الأدب الروسي في أواخرالقرن الثامن عشر، وفي البداية كانت أقوى نزعة رومانسية هي النزعة العاطفية التي طغت في العقد الأخير منه، وركزت على المشاعر والخيال، ولكنها استمرت في استخدام الأشكال الشعرية الكلاسيكية، كما عرف عدد من كتاب العقد الأول من القرن التاسع عشر باسم أدباء ما قبل الرومانسية، وامتازوا عن العاطفيين باهتمام أكبر بالطبيعة. وفي العقد الثالث من القرن التاسع عشر ظهر جيل جديد من الشعراء يمثل البداية الحقيقية للرومانسية وبداية العصر الذهبي في الشعر الروسي. وقد جمع هؤلاء أيضًا بين المشاعر الرومانسية والأشكال الكلاسيكية، لكن مواضيعهم كانت أكثر تنوعًا، وأبدوا اهتمامًا أشد بحرية الفرد، وتأثرًا كبيرًا بالشاعرين الإنجليزيين شكسبير وبايرون.

شهد الأدب في هذه الفترة حرية أوسع في الشكل والأسلوب وإعجابًا بالمشاعر والانفعالات الإنسانية، وهذه الحركة التي بدأت في ثلاثينيات القرن التاسع عشر الميلادي ركزت أيضًا على تعميق أهمية الأحلام والرؤى والخيال. ومن أبرز كتّاب هذه المرحلة: ميخائيل ليرمنتوف وفيودور تيوتشيف ونيقولاي جوجول،كما برزت الواقعية في الأدب الروسي في الأربعينيات من القرن التاسع عشر، وسعى معظم أتباعها إلى إعطاء صورة صادقة عن الحياة والدعوة في نفس الوقت إلى الإصلاح الاجتماعي. وفي البداية جمع الأدباء خصائص رومانسية وواقعية في كتاباتهم.

وجاءت ستينيات وسبعينيات القرن التاسع عشرالميلادي، لتنتهي خلالها الرومانسية في الأدب الروسي وبرز الكتّاب الواقعيون الروس وهم يكتبون عن الأوضاع الاجتماعية وحلت كتابة النثر المبسط محل الأسلوب الأنيق للرومانسية وأصبحت الرواية الشكل الرئيسي للكتابة الأدبية. وقد تضمن العديد من الرِّوايات شخصيات مفعمة بالحيوية ولكن في بنية قليلة الحبكة.

وعندما جلس إسكندر الثالث على عرش القياصرة، عارض كثيراً من الإصلاحات التي قام بها والده إسكندر الثاني، وظهرت موضوعات كثيرة، تتسم باليأس والمرارة في الكتابات الروسية، نتيجة لقسوة الحكم القيصري في ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر. وأصبحت القصص والمسرحيات تُمثّل الأشكال الأدبية للواقعية المتأخرة. وكان أنطون تشيخوف من كتاب القصة القصيرة والمسرحية البارزين. ومعظم أعماله تتعلق بإشكاليات من الحياة. قام بابتكارات أسلوبية أثرت بدورها على تطوير القصة القصيرة الحديثة. تتمثل أصالتها بالاستخدام المبتكر لتقنية تيارات شعورية، اعتمدها فيما بعد جيمس جويس والمحدثون.

تشيخوف.. الطبيب أم الأديب ؟!

كلا الوصفان ينطبقان عليه بجدارة، فكان طبيباً انساناً لا تشغله هوايته عن مهنته الأساسية والتزامه الانساني نحو مرضاه. كما كان أديباً يمتلك مشرط جراح، ينبش الألام ويفتح الجروح وينظف قيحها. إذ يعد تشيخوف واحداً من كتاب الضمير في العالم، نظراً لانحيازاته للضعفاء ومن لا صوت لهم. وهو من هؤلاء الكتاب الذين مثلوا صوت التعبير عن الجماعات المقهورة، تلك الجماعات التي تعيش على الهامش مثل خُدام البيوت، والموظفين المهمشين، والمرضى النفسيين، والمغدورين، والذين يقعون تحت طألة ضغوط الحياة. لقد كان أحد هؤلاء، فلم يكن طريق الشهرة والأدب مفروشاً أمامه بالورود ، فقد عاش حياة صعبة مليئة بالمعاناة والفقر وتحمل المسئولية منذ الصغر، وكانت الكتابة طريقه لإفراغ حمولته الثقيلة وأحد الأدوات التى أعانته على الحياة وإعالة إسرته.

ولد انطون تشيخوف في جنوب روسيا في ٢٩ يناير عام ١٨٦٠ لأسرة فقيرة، وكان ترتيبه الثالث بين ستة أبناء، كان أبوه من العبيد السابقين، وقد

فر من موسكو هرباً من ديونه وإعلان إفلاسه تاركا أسرته تعيش في فقر مدقع، وقد جسده تشيخوف في قصصه رمزاً للأب المتعسف الذي يعاني ازدواجية في الشخصية ..أما والدته، فكانت السبب الأول في إبداعه في الكتابة، حيث كانت تحكي لأبنائها عن رحلاتها مع والدها تاجر القماش، ما أثار خيال تشيخوف، وقد أشار إلى دور أمه في صناعة موهبته في الكتابة وإطلاق طيور الدهشة في خياله. وفي عام ١٨٧٥، انتقلت عائلته إلى موسكو بعد أن أعلن والده إفلاسه، بينما بقي أنطون في تاجانروج لإكمال دراسته وبعدها انضم إلى عائلته في موسكو عام ١٨٧٩. كان يكافح مع والده لتدبير أمورهم المالية واستطاع دعمهم من خلال كتابة القصص الهزلية القصيرة التي نشرت في المجلات المحلية تحت اسم مستعار .

عمل تشيخوف طبيباً في منتصف عام ١٨٨٠، ثم بدأ بنشر أعمال باسمه في مجلة New times، وأبدع من خلال كتاباته في إظهار خفايا النفس البشرية، وكأنه يعيش بداخل كل إنسان ويعلم ما لا يعلمه هو عن نفسه، ما أدى إلى شهرته البالغة، وأحب الناس قراءة أعماله في كل بقاع العالم، لأنها تقرب القارئ من نفسه أكثر وتظهر مكنونات النفس البشرية ومواطن الجمال والضعف فيها. وفي البداية كتب تشيخوف أعماله لتحقيق مكاسب مادية فقط، ولكن سرعان ما نمت طموحاته الفنية، وقام بابتكارات فنية أثرت، بدورها، على تطوير القصة القصيرة الحديثة، تمثلت في التعرض لموضوعات تخص شعور الإنسان وأزماته النفسية. وقد أكسبه إنتاجه الرائع من المنمنمات الفكاهية شهرة تدريجية باعتباره كاتباً ساخراً يجسد حياة الشوارع الروسية.

اعتبر "تشيخوف" مهنة الطب عمله الرئيسي، وكان يعالج الفقراء مجاناً،وفي عامي ١٨٨٤ و١٨٨٥ وجد نفسه يسعل دماً، وفي عام ١٨٨٦ تفاقم وضعه الصحي، لكنه لم يخبر أسرته أو أصدقائه بمرض السل الذي

أصيب به. وفي عام ١٨٨٧ فاز أنطون تشيخوف بأول جائزة أدبية في حياته وهي جائزة بوشكين للقصة القصيرة عن مجموعته »في الغسق«، فكان يكتب القصة القصيرة من أجل كسب المال لكن مع نمو طموحه الأدبي أضاف الكثير من الابتكارات إلى عالم القصة القصيرة، حيث تلفت قصصه النظر إلى حماقة الإنسان وتعاسته بصورة ساخرة. وقد وجد القراء في قصصه بعض الصعوبة في التعامل مع أسلوبه في السرد والرسائل التي تحملها، وكان دائما ما يرد على ذلك بقوله: "دور الكاتب طرح الأسئلة، وليس الإجابة عنها"

لقد كان "تشيخوف" معنيًا بالنفس الإنسانية ليس فقط كـ "روائي وقاص"، بل كـ "طبيب"، صحيح أنه توجه للتخصص في الطب الوقائي، وكتب أطروحة دكتوراه عن سجناء جزيرة سخالين وظروف حياتهم القاسية والمريرة وبعض المتلازمات النفسية التي غذت أخيلته بابتكارات خصبة جدا من زاوية التصور الفني. فهناك قصة عبقرية لتشيخوف اسمها " الراهب الأسود" تعالج حالات الهلاوس البصرية التي يظهر فيها لبطل القصة راهب أسود لايراه غيره، وكيف أن حضوره كان مريحًا لبطل القصة الذي لم يصمه تشيخوف بالمرض العقلي، بل أدان عدم تركه وما يريحه كحالة إنسانية مغايرة لا مختلة، وهو موقف فلسفي ونفسي عبرت عنه مدرسة مهمة في الطب النفسي بعد ذلك بعشرات السنين في الغرب عُرفت بالمدرسة المضادة للطب النفسي.

تشيخوف.. ابن المجتمع الروسي

يرى الكثيرون أن "تشيخوف" هو ابن المجتمع الروسى الحقيقي، الذي عاش قبل الثورة البلشفية، حيث غياب العدالة الاجتماعية وحرية الفرد، لذلك انشغل بالتعبير عن تلك القيم، كما أنه واجه الإنسان بحياته الحقيقية بكل ما فيها، فيخبره بالحقيقة العارية كي يدرك أنها حقيقته دون تجميل أو مداراة، ليبدأ في تحسينها، وهذا أضاف أبعادًا واقعية للقصة القصيرة لم تكن موجودة

قبله، وكل ما تبعه عمل عليها.

عكست كتابات تشيخوف الأجواء والمناخات الاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في روسيا في تلك الفترة بصورة دقيقة، ومن أهم مضامين كتاباته انتقاداته اللاذعة لنمط الحياة الروسية، والمظاهر الاجتماعية السلبية المرافقة لها، وقام بكشف ما كان يعانيه أبناء جيله من العذاب والقلق الفكري والروحي والتمزق الداخلي جراء غياب الآفاق المضيئة أمامهم، كاشفاً نقمة أبطاله على حياتهم المحدودة ورغبتهم القوية بالقيام بأعمال خلاقة مبدعة ومفيدة، وحلمهم الدائم بالوصول إلى مستقبل مشرق. لقد كان أبطال تشيخوف يدركون مأساتهم في الحياة، وفظاعة ما يعايشونه، غير أنهم يقفون بلا حراك أمام سبل تغييره، مكتفين فقط بالحلم لتحقيق ذلك، حيث يمنعهم العجز، ويظهر المثقف المنحدر من الطبقة الوسطى فاقداً لقدرته على التأثير في المجتمع وتغييره نحو الأفضل.

تكمن موهبة "تشيخوف" الخاصة في أنه تمكن من وصف الناس بعقلانية وبإحساس مميز بتعقيدهم وتشابكهم. فكان الأدب، في بداية حياة "تشيخوف" وسيلة لكسب المال، في المقام الاول، تساعده في إتمام دراسته في كلية الطب، ولكن في عام ١٨٨٥ تلقى تشيخوف رسالة من المؤلف الروسي الشهير "ديمتري غريغوروفيتش" الذي قرأ بحماس قصته القصيرة "الصياد" الذي كتبها عام ١٨٧٣. كتب غريغوروفيتش مخاطباً "تشيخوف" أن "لديك موهبة حقيقية، موهبة تضعك في طليعة الكتاب من الجيل الجديد" كما نصحه بالتمهل والكتابة أقل والتركيز على الجودة الأدبية. وشجعه على العمل بجدية مع موهبته، لقد أصبحت هذه الرسالة نقطة تحول بالنسبة لتشيخوف حيث ذكر ما يلي: "لقد تركت رسالته آثاراً عميقة في روحي، حتى الآن، تعاملت مع أعمالي الأدبية بشكل تعسفي، لا أستطيع أن أتذكر قضاء أكثر من يوم واحد

على أي من قصصي، وقد كتبتها مثل صحفي يكتب خبراً عن الحرائق، بطريقة ميكانيكية، وبشكل روتيني، دون التفكير في نفسي ولا في القارىء". ولكن سرعان ما ابتعد تشيخوف عن الأدب كعمل روتيني، وأولى اهتماماً للأنواع الأدبية الأخرى غير القصة القصيرة والدراما، حيث أصبح سيداً لهذا النوع الأدبي، ولا يزال تأثيره محسوساً حتى يومنا هذا.

وبرغم الصعوبات التي اعترضت سبيله في بداية مساره الإبداعي ودخوله الساحة الأدبية الروسية وتمركزه فيها، سرعان ما اعترف بـ"تشيخوف" رائداً بدون منازع للقصة القصيرة ليس في روسيا وأوروبا فقط، لكن في العالم العربي كذلك، حيث بدأ تأثيره يظهر وهو ما زال على قيد الحياة. وبعد مضي عشرات السنين، استطاع تشيخوف أن يحظى بشهرة واسعة في مصر، حيث نالت قصصه القصيرة إقبالًا كبيرًا وكان لها تأثير واضح على مجموعة من الكتاب، غير أن الترجمات العربية لأعمال تشيخوف لم تعد تنجز من الأصل الروسي، بل عبر ترجمات من لغات أخرى كالإنجليزية والفرنسية. وخلال العقود الخمسة الأولى للقرن العشرين؛ ظل تشيخوف يعرف في العالم العربي من خلال قصصه القصيرة فقط، ولم يتعرف العرب على مؤلفاته المسرحية التي كانت قد نالت شهرة واسعة في كل من أوروبا وأمريكا إلا بعد ما تمت ترجمة مسرحية "الدب" وعرضها على خشبات المسارح القاهرية، ويرجع الفضل في كل هذا إلى زكي طليمات، الذي قام بنشر الترجمة العربية لمسرحية "الدب" في مجلة الهلال عام ١٩٤٤.

تشيخوف.. وكنوزه الأدبية الثمينة

لقب (مؤسس القصة القصيرة) لم يأت من فراغ، بل لأنه استطاع تحطيم الأعراف الأدبية وغير الأدبية، وذلك بخروجه على القواعد، مثل البداية والنهاية ومواصفات الشخصية والحبكة القصصية؛ كذلك البساطة والاختصار

والغموض في آن واحد؛ و التي كانت أهم سمات جماليات أسلوب تشيخوف، لقد تميز إنتاجه القصصي بالشمول وروح الفكاهة المشوبة بالحزن؛ شخوصه حية ترزق تقابلها أينما ذهبت، فكان الوجود الإنساني مأساة، عبّر عنها تشيخوف وصوّرها في قصصه القصيرة، وفعل ذلك بنظرة دقيقة واضحة وعطوفة؛ ولم يكن أبطال قصصه ملوكًا أو أمراء، إنما هم بشر من السائرين في الطرقات.

تُشبه مؤلفات تشيخوف فيضاناً من الابتكار المستحدث والتنوع الدائم، ليس هناك من وتيرة واحدة، وليس هناك من قصتين متشابهتين لا في الأشخاص ولا في الحوادث، لقد كانت معرفته بالرجال والنساء عميقة وواسعة، وكانت قدرته على التركيز مُدهشة؛ فالفكرة الغامضة العويصة التي يحتاج بعض الكتاب لعرضها في قصة طويلة، يستطيع تشيخوف إخراجها في صفحات قليلة.. كان يدرس أبطاله جيداً، وكان يفهمهم تماماً، وكان يستطيع ببساطة أن يُعبّر عن شخصياتهم، وقد عرف كيف ينفذ إلى أعماق النفس الإنسانية.

عُرف "تشيخوف" أيضاً بكونه كاتبًا مسرحياً، لكن أعماله في القصة القصيرة هى الأشهر وذات ثقل فني مميز. كما أسس العديد من الإبداعات الفنية، والدرامية، والمسرحيات ذات الفصل الواحد، والتي تعرف بفن "الفوديفيل"، حيث طور نموذجاً بسيطاً كان له تأثيراً هاماً على كتاب المسرح من أمثال "إرنست همنغواي" و"ريموند كارفر". وعبر مسيرته ترك تشيخوف عدداً كبيراً من القصص القصيرة والطويلة والمسرحيات والرسائل التي أغنت التراث الأدبي الروسي والعالمي، ومن أشهر مؤلفاته القصصية "الراهب الأسود" و"الوادي الضيق" و"معلم اللغة الأدبية"، ومن أبرز مسرحياته "النورس" و"بستان الكرز" و"الخال فانيا".

إلى جانب شهرته الطاغية في القصة القصيرة، يعتبر تشيخوف أحد رواد الحداثة في المسرح العالمي، فقد تمرّد على كل الأسس المسرحية التي كان المساس بها يُعد من المحرمات؛ وتميّزت مسرحيات تشيخوف باللمسات الخافتة اللمّاحة، وبجوّ مُفعم بالحنين والشاعرية؛ تجلّى ذلك في الابتعاد عن المواقف الجاهزة واجتناب العنف، والخلو من وسائل الإثارة، وكتب للمسرح العديد من المسرحيات واختيرت ٤ من أعماله من بين كلاسيكيات الكتابة المسرحية، وقد قرر التخلي عن الكتابة للمسرح عام ١٨٩٦ بعدما فشلت مسرحيته "طائر النورس" في الحصول على الإقبال الجماهيري، لكن المسرحية حققت ناجحا ساحقا فيما بعد.

وإلى جانب الفكرة الوجودية، في "دراما تشيخوف" العظيمة، تمتعت مسرحياته بالحد الأدنى من الحركة، ومن قصص "تشيخوف" قصة "السيدة مع الكلب" التي وصفها المؤلف "فلاديمير نابوكوف "بأنها "واحدة من أفضل القصص المكتوبة على الإطلاق". تكافح العديد من الشخصيات الرئيسية في قصص "تشيخوف" القصيرة مشاكل ملموسة للغاية مثل الفقر، والإقصاء، والجوع، فيما يُظهر فيلم "السيدة مع الكلب" الفراغ الوجودي الكامن في ظل الحياة الميسورة التي تعيشها "آنا وغوروف". إن المجتمع سواء في شكل استغلال للفقراء، أو خداع الذات للوجود البرجوازي، هو العدو الحقيقي لتشيخوف، وكقوة موازنة لمعاناة الإنسان الذاتية، يجد المرء أوصافاً للطبيعة تلقي بصيصاً من الخلود على المعاناة الزمنية. وقد وصف تشيخوف بأنه ثاني أكثر الكتاب شعبية على الكوكب بعد شكسبير، وقد قدم الكثير من أعماله في المسرح وعلى شاشة السينما. كما اختيرت قصته "السيدة صاحبة الكلب" أعظم قصة قصيرة مكتوبة على مر العصور. وقبيل وفاته بسبع سنوات تقريبًا، أصدر روايته "المبارزة" التي تعد أقرب للسيرة الذاتية، مع تركيزه

على تصوير شقاء الشعب الروسي.

لقد أصيب "تشيخوف" بمرض السل في عام ١٨٨٤ وهو المرض نفسه الذي مات به شقيقه، ولكنه أخفى الأمر عن أسرته وأصدقائه، وعندما اصيب بنزيف شديد طالبه الأطباء بتغيير نمط حياته، فاشترى قطعة أرض في مدينة يالطا الأوكرانية الساحلية، وهو المنزل الذي التقى فيه بعظماء الأدب مثل ليو تولستوي ومكسيم غوركي.

غادر الحياة في ١٥ يوليو ١٩٠٤، ودفن بجانب والده في مقبرة نوفوديفيتشي في موسكو، عن عمر ٤٤ عاماً، لقد تحولت أبرز الأماكن التي سكنها تشيخوف، أو أقام فيها، إلى متاحف أثرت في الأدب العالمي والروسي، شكلت الأماكن التي سكنها تشيخوف شخصيته الأدبية وصقلت نظرته تجاه النفس البشرية، فلم يترك فرصة للغوص في أسرارها إلا واغتنمها، كما استخدم الشخصيات التي قابلها في كل مكان جديد وطئه كأبطال لقصصه ومسرحياته. ومن أهم البقاع التي سكنها الكاتب أنطون تيشخوف، والتي آلت إلى متاحف يزورها مئات الآلاف من الزوار سنوياً:-

متحف ميلاد تشيخوف - تاغونروغ:

حيث قضى الكاتب الروسي أنطون تشيخوف السنة الأولى من حياته في منزل بمدينة تاغونروغ، لا تزيد مساحته على ٣١ متراً مربعًا، إذ انتقل والداه من المنزل لشقة أخرى في العام التالي لولادته، أي ١٨٦١. وُضعت أول لوحة تذكارية لميلاد تيشخوف على المنزل عام ١٩١٠ ونُقلت ملكيته لمجلس المدينة عام ١٩٢٠ ومن ثم افتتح أول معرض يروي حياة الكاتب خلال شبابه عام ١٩٢٤ .

متحف (متجر تشيخوف) - تاغونروغ:

في المبنى الصغير المكون من طابقين، سكن تشيخوف وأسرته ما بين

عامي ١٨٦٩ و١٨٧٤ إذ قضى فيه من عمر ٩ سنوات حتى سن الـــ١٤، حيث سكنت الأسرة في الطابق العلوي بينما افتتح والد تشيخوف متجرًا فـــي الطابق الأرضي، حيث قضى تشيخوف ساعات في المتجر عند غياب والـــده، واحتكّ بزوار المتجر الذين أصبحوا في وقت لاحق نماذج لأعماله، إذ تركـــت تجربته في المتجر أثرًا واضحاً في أعماله الأدبية.وفي سبعينيـــات الـــقـــرن الماضي افتُتح المتحف أمام الزوار حيث عُرضت وثائق ومخطوطات ومقتنيات تروي شباب تشيخوف وحياته الأسرية .

متحف أنطوان تشيخوف الأدبي - تاغانروغ:

قبل أن يكون متحفًا، كان المبنى مدرسة قضى فيها أنطون تشيخوف حياته بين ١٨٦٨ و١٨٧٩، وكان واحدًا من أهم مصادر إلهامه للكتابة، إذ اكتســب المبنى أهمية كبيرة لتُسمى المدرسة باسم تشيخوف عام ١٩٥٤ وتبقى علـــى ذلك الحال إلى أن تم تحويلها إلى متحف عام ١٩٨٠، حيث تُعـــرض حـــيـــاة وأعمال أنطون تشيخوف.

منزل الكاتب في ميليخوفو: سكن أنطوان تشيخوف المنزل الريفي بـــيـــن مارس ١٨٩٢ حتى أغسطس ١٨٩٩ إذ يقع على بعد ٤٠ ميلاً من موسكـــو، وفيه كتب بعضًا من أشهر مسرحياته وقصصه منها "العم فانيا" و"طـــائـــر النورس."

المنزل الأبيض - يالطا:

شهد المنزل إبداع الكاتب الروسي في سنواته الأخيرة، إذ بناه بعد أن جنى أرباحاً كبيرة من "طائر النورس" إضافة لنصيبه من تركة والده، كما كان ملاذ الكاتب للتشافي من داء السل الذي كان سبب وفاته.وفي المنزل الأبيض أو ما سُمي بالـــ"داتشا البيضاء" كتب تيشخوف ٦٥ قصة وعدداً من المسرحيـــات؛ من بينها "بستان الكرز" و"الأخوات الثلاث." اعتنت شقيقة تشيخوف بالمنـــزل

بعد وفاته عام ١٩٠٤ وحتى عام ١٩٢١ إذ تم تحويله رسمياً إلى متحف يعرض صوراً ومقتنيات تعود له.

وأخيراً، ربما يتساءل البعض ما الشيء المحفز على قراءة مؤلف قد يبدو قاتماً نوعاً ما؟ والإجابة هي أن "تشيخوف" يصف الناس كما هم دون إدانتهم. قد يعتمد الكثير من الكتّاب على النزعة الإنسانية وفقاً لمثالية لا يمكن الدفاع عنها، لكن "تشيخوف" يؤسس مدرسته الأدبية على الإنسانية الواقعية،قلة مثله لديهم بصيرة وفهم لقدرة الإنسان على الكفاح في الظاهر وفي العمق، فكان الغرض من رواياته "التنوير"، حتى أنه لم يكن يدرك تصنيف كتاباته على أنها "متشائمة". ومن ناحية أخرى، كان يرى أنه كلما جرى إظهار الحياة كما هي، سيتمكن المرء من تغييرها إلى سياق أكثر إيجابية، فكان يؤمن أن الأدب يشكل لغة متميزة،فأغلب قصصه كانت تعمل وفق آلية واحدة وهي كيف يمكن للقصة أن تساعد في جعل الشخص يواجه ألمه بطريقة بناءة،و يمكن أن تساعد قراءة "تشيخوف" في التقريب من الحياة، وهذه العقيدة التي تتدفق في جميع أعمال "تشيخوف" هي التي جعلت كتاباته مستمرة إلى الأبد.